عنوان البحث

الممارسات الشعبية وخصوبة المرأة

دراسة أنثروبولوجية لإحدى القري بمحافظة الدقهلية

دكتورة

فاتن محمد عبد الغفار شريف

مدرس الأنثروبولوجي بقسم الاجتماع

كلية الآداب –جامعة المنصورة

مقدمة

لقد شغلت الممارسات الشعبية كإحدى عناصر التراث الشعبي ، اهتمام كثير من الباحثين في مجالي الأنثروبولوجي والفولكلور ،ولقد كان الفولكلور منذ زمن بعيد هو النموذج السائد والمتاح للأنثروبولوجية الطبية خاصة فيما يتعلق بالطب الشعبي والممارسات العلاجية الشعبية (١).

وثمة وظيفة هامة للفولكلور وهى تأصيل القيم كما تتصورها البيئة الثقافية وتبرير طقوس الجماعة وممارستها .فالممارسات والمعتقدات والعادات والأفكار هي الحقائق التي تكون الموروثات الثقافية ، والتي لازالت مستمرة بحكم العادة في مجتمعنا المعاصر يتلقاها جيل عن جيل (٢). كما أن البحث عن وظيفة العناصر الفلكلورية شاق وعسير ويقتضي ضرورة التعرف على مدى تعبير هذه العناصر الفلكلورية على العلاقات والقيم السائدة في المجتمع ، ومن ناحية أخرى دراسة العناصر الفلكلورية التي تدخل في كل نسق من الأنساق الاجتماعية التي تؤلف البناء الاجتماعي مما يعني فهم المجتمع ككل من زاوية فلكلورية بحتة(٣)

ومن الملاحظ اهتمام عناصر التراث الشعبي بالزواج والإنجاب وكثرة الذرية ، ولذا فإن أهم عمل ميداني هو جمع المادة الفلكلورية من حفظتها ومستخدميها خلال ممارستها في الحياة اليومية مباشرة واستقصاء المعلومات عنها من الرواة الذين لهم خبرة في الحفاظ على هذه المأثورات وحفظها (٤)

ولاشك أن عناصر التراث الشعبي المتعلقة بخصوبة المرأة تعكس مدي اهتمام المجتمع المصري بصفة عامة والمجتمع الريفي بصفة خاصة بقيم الإنجاب

وأهمية الدراسة تنبع من أنها تعد إسهاما إثنوجرافيا فى مجال الدراسات الأنثروبولوجية لإحدى عناصر التراث الشعبي . بهدف رصد وتحليل الممارسات الشعبية المرتبطة بخصوبة المرأة التي لازالت مستمرة في إحدى القري المصرية ، والتي ما كانت لتبقي وتستمر لولا أنها تؤدي وظيفة هامة بالنسبة لممارسيها .

ويركز البحث علي دراسة الممارسات الشعبية المرتبطة بخصوبة المرأة من خلال دراسة إثنوجرافية تعتمد علي الوصف والتحليل لتلك الممارسات والمعتقدات المتعلقة بها وكذلك التغيرات التي طرأت علي بعضها ، وأدت إلي اندثار البعض الآخر .

ولقد اعتمدت الباحثة علي بعض من طرق البحث الأنثروبولوجية منها الملاحظة المباشرة لبعض الممارسات الشعبية التي أتاحتها الظروف نظرا لحساسية البعض منها ، بجانب إجراء مقابلات جماعية وفردية للمبحوثات مع الاستعانة ببعض الإخباريات لشرح بعض الممارسات التي تحتاج إلي خبرة النساء المحترفات أو كبار السن .

مجتمع البحث شملت الدراسة الميدانية قرية ميت الأكراد وهي قرية صغيرة تقليدية علي الرغم من قربها من مدينة المنصورة –موضحة علي الخريطة- علي بعد حوالي ثماني كيلومترات ؛ مساحتها حوالي ٤٠ألف متر منها٢٠ألف متر تتبع وزارة الأوقاف والأهالي تستأجرها مقابل إيجار موسمي ، المسافة من الطريق الرئيسي الإسفلت حتي القرية حوالي ٥٠٠متر .وسيلة النقل للمنصورة الميكروباس (من القرية إلي سندوب ومن سندوب إلي المنصورة) إجمالي عدد السكان حوالي ثلاثة آلاف نسمة (٥). يوجد بها المرافق العامة من كهرباء ومياه وصرف صحي ، تفتقر القرية إلي الخدمات العامة مثل الوحدة الصحية ومكتب البريد ونقطة الشرطة وتعتمد علي قرية شاوة المجاورة لها وهي قرية متحضرة أو سندوب أو مدينة المنصورة ولا يوجد بها سوي مدرسة ابتدائية واحدة ، وبها جمعية تعاونية زراعية لتقديم الخدمات لسكان القرية حيث تعد الزراعة هي النشاط الاقتصادي الغالب لأهلها .

وقد اقتصرت الدراسة على المبحوثات سواء الأميات أو المتعلمات ، اللاتي ينتمين إلي عائلات تمارس النشاط الزراعي ، لأن الفلاحين أكثر الفئات المجتمعية تعبيرا عن عناصر التراث الشعبي ، وخاصة تلك الممارسات الشعبية المرتبطة بخصوبة المرأة نظرا لأهمية الإنجاب وخاصة إنجاب الذكور كقيم اجتماعية في المجتمع الريفي .

كما عمدت الدراسة إلي أن تشمل المبحوثات المتزوجات لقدرتهن علي تناول الممارسات المرتبطة بالخصوبة ومعالجة العقم ، بالإضافة إلي الاستعانة بالإخباريات من كبار السن

لخبرتهن فى القيام بتلك الممارسات ودورهن في تقديم النصح والمشورة للنساء الصغيرات وخاصة في العائلة الممتدة .

الفترة الزمنية للدراسة الميدانية

استغرقت حوالي ستة أشهر من منتصف يناير ١٩٩٧وحتي نهاية شهر يوليو ١٩٩٧

ولقد حاولت الدراسة إلقاء الضوء علي الممارسات الشعبية لخصوبة المرأة من كافة جوانبها بدءا بمفهوم الخصوبة والإخصاب من الناحية البيولوجية ، ثم عرضنا لممارسات الخصوبة في مصر القديمة ، وبعدها الممارسات الشعبية في مراحل الخصوبة ومن خلالها تناولنا الخصوبة وأهمية الإنجاب والنظرة للمرأة المنجبة والمرأة العقيم ثم استعرضنا الممارسات المرتبطة بالزواج بداية من عقد القران والزفاف وفض غشاء البكارة ، ثم الحمل وما يتبعه من حالات تأخر الحمل والحمل الكاذب والإجهاض ، وكذلك الولادة والممارسات المرتبطة بالخلاص وأخيرا عرضت الدراسة في عجالة الخصوبة وتنظيم الأسرة.

مفهوم الخصوبة وعملية الإخصاب

تعني الخصوبة fertility القدرة على إنجاب الأطفال بالنسبة للمرأة خلال فترة خصوبتها التي تتراوح ما بين ١٥-٤٥سنة من عمرها وتمثل معدلات الإنجاب عدد المواليد لكل ألف امرأة في سن الخصوبة .

أما الإخصاب Fertilization فهو يعني اتحاد بين الحيوان المنوي sperm و البويضة egg (ovum)للأنثى ليكونا البويضة المخصبة والتي تتم في قناة فالوب للأنثى (٦)

كيف تتم عملية الإخصاب تعتبر الخلايا التناسلية الأنثوية (oocytes) والبويضات قبل النضج أكبر خلايا الجسم ، وتتطور فى مبايض الإناث ، حيث تستمر عملية النضج حتى سن البلوغ ، عندئذ يكون عدد خلايا البويضة قد وصل إلى ذروته عند ميلاد الأنثى ولا يمكن إنتاج خلايا جديدة ، رغم وجود ما يقرب من نصف مليون خلية فى كل مبيض ، وأن كان عدد الخلايا القابلة للإخصاب أقل كثيرا . وهناك عدد كاف من البويضات تكفى فترات الخصوبة فى كل شهر حتى تصل المرأة إلى مرحلة انقطاع الدورة فى الخمسين من العمر تقريبا ، وعلى النقيض يستمر إفراز البلايين من الخلايا المذكرة حتى سن متأخرة

من العمر ، وإن كان عدد الحيوانات المنوية وقدرتها على الإخصاب ينخفض بتقدم العمر ، وعدم القدرة على إتمام تلقيح ناجح . وهناك هرمونات تفرز بواسطة الغدة النخامية الموجودة أسفل المخ تقوم بالتحكم فى الهرمونات الجنسية الموجودة بالدم والتي تفرزها بصورة أساسية خصية الرجل ومبايض الأنثى . وتستعد بطانة جدار الرحم لاستقبال الجنين بواسطة إشارات كيميائية تنطلق من المبيض إلى تيار الدم مما يؤدي إلى زيادة عدد الأوعية الدموية فى سطح بطانة الرحم المعد لانزراع البويضة فإذا لم يحدث الإخصاب تموت البويضة ، ويبدأ المبيض من جديد عملية الإعداد لإطلاق بويضة جديدة ثم يموت غشاء الرحم المفرط فيرفض عندما تبدأ الدورة الشهرية .إما في حالة حدوث إخصاب البويضة بوساطة حيوان منوي في قناة فالوب ، عندئذ تمر البويضة المخصبة أو ال(زيجوت) zygote إلى الرحم فتتحد مع غشاء الرحم الذي ينشئ مزيدا من الأوعية الدموية ، وهكذا يتم بناء المشيمة ، وهي العضو المتخصص فى تغذية الجنين ، وتتكون من أوعية دموية تدخل وتخرج من الجنين النامي ، بينما تحمل أوعية الأم الدموية الغذاء والأكسجين إلى الجنين وتأخذ منه الفضلات وثاني أكسيد الكربون ، ومن ثم تقوم المشيمة بتزويد الجنين النامي بداخل الرحم بالوظائف التنفسية والغذائية التي تؤديها فيما بعد الرئتان والمعدة والأمعاء . وعندما يحدث الانقسامات الخلوية الجنينية ، وتنشأ أعضاء أولية يستطيع الجنين الحركة "داخل حمام سباحته الخاص" فى التجويف الرحمي ، مع نبضات القلب دافعا الدم من خلايا المشيمة ليعود منها الدم محملا بالغذاء والأكسجين ، وبعد تسعة أشهر يكون الجنين قد أكتمل نموه استعدادا للولادة ، إذ لا تستطيع المشيمة مواصلة تغذيته أي زيادة فى حجم الجنين ، ويتم إعطاء الإشارة لعملية الولادة ، فينقبض الرحم ، ويتسع عنقه ، ويندفع الطفل من خلال قناة الولادة إلى خارج المهبل ، حيث يتنفس أول نفس فى حياته ويتم قطع الحبل السري (٧)

ممارسات الخصوبة في مصر القديمة

أن الطقوس والممارسات المرتبطة بخصوبة المرأة تنتشر في كل ثقافات العالم ويمكننا رصد ظواهرها منذ أقدم العصور في الآثار والسجلات القديمة للشعوب المختلفة، ومنهم

الفراعنة الذين سجلوا على جدران معابدهم وعلى ورق البردي الممارسات والطقوس التي تصاحب دورة الحياة .فلقد عرفوا فيما يتصل بأمراض النسا ، أمر التأكد من خصوبة المرأة أو عقمها ، وتشخيص الحمل ومعرفة نوع الجنين ، فكان بول الحامل يوضع على قمح وشعير ، فإن نبت القمح كان الجنين ذكر ، وإن نبت الشعير فأنثى ، وإن لم ينبت أحدهما فلا حمل ،كما عرفوا علاج سقوط الحمل والحقن المهبلية (٨).

كما وجد بين الأوراق البردية الطبية نصوص تختص بأمراض النسا كالإجهاض والسيلان المهبلي والقلق الحيضي وطرق معالجتها بما لا يتناقى مع الاكتشافات الحديثة كالحقن وغيرها مما يوصف لمنع التريف وزوال العوارض في الأرحام (٩) .ومعظم البرديات التي عثر عليها تشير إلى أصل إلهي أو إنها ترجع إلى عهد الدولة القديمة ، وأقدمها جميعا بردية كاهون –الفيوم حاليا –وجدهما بيتري Petrie سنة ١٨٨٩ وترجع إلى عهد الدولة الوسطي(١٩٥٠ق.م) وتضم هذه البردية تشخيصات وممارسات تتعلق بأمراض النسا ، وعلاج هذه الأمراض باستخدام الجعة واللبن والزيت والبلح ، والعلاج بالغسيل والتبخير المهبلي والتعرف علي مدي خصوبة المرأة ، وذلك بأن تجلس المرأة فوق بقايا جعة فإذا تقيأت كانت خصبة ، ودل عدد مرات القيء علي عدد الأولاد الذين سوف تلدهم ، وإذا لم تتقيأ يعنى أنها عقيم (١٠)

ولاشك إن ارتباط المرأة بعملية التكاثر والإخصاب والنسل أوحى للإنسان البدائي أن يكون مجتمع الأله على غرار وضعه فى الطبيعة من حيث أن هذا المجتمع هو الآخر يتوالد ويتناسل ويتكاثر على شاكلته .وما شيوع (الثالوث الإلهي المقدس) فى معظم حضارات الأمم القديمة إلا أوضح دليل على هذا الاستنساخ من منطلق أن مصدر تكون ذلك الثالوث هو الزواج الذي يتم بين الذكور والإناث من الأله ، وثمرته هو أبن أو ابنة على غرار المجتمع الإنساني ، ومن أشهر أنواع الثالوث الإلهي المنبثق عن ذلك الزواج الأسطوري بين الشمس والقمر لاجتماعهما مرة في كل شهر وعند اتجاههما نحو الأرض ويبدو أن (الزهرة) كانت ثمرة هذا الزواج، ليتشكل ذلك الثالوث الإلهي ، لا عند العرب فى الجاهلية فحسب ، وإنما كان هو نفسه في حضارات وادي الرافدين ووادي النيل

واليونان ، مما يحمل على الاعتقاد بانتقال هذا الشكل في دورة متصلة في أساطير تلك الحضارات والشمس هي أقدم أنواع الآلهة الإناث ، وقد وصفت بالأم العظمى المقدسة ؛ ومما يؤكد حقيقة إن الشمس (إلهه مؤنثة)، لا إلها ذكرا ، قول القدماء إن الإلهة تأنيث إله، وأن الشمس سميت بها لأنها كانت تعبد في العصور القديمة ، لكونها رمزا ماثلا للخصوبة(١١).

وترى بلاكمن من طقوس الخصوبة بالنسبة للمصريين المحدثين ، ذهاب النساء إلى أحد المعابد القديمة المليئة بالنقوش ، وعند دخولهن كانت كل واحدة تخطو سبع خطوات للأمام والخلف فوق ما كن يفترضن أنه فوهة حفرة تؤدى إلى حجرة الدفن الموجودة تحت الأرض ، وبعد أن ينتهي ذلك يعدن إلى المعبد الخالي من النقوش الذي كانت تقيم به وينفريد بلاكمن ، وكانت تقوم بإخراج بعض التعاويذ لتخطو عليها كل امرأة سبع مرات للخلف والأمام وكانت التمائم عبارة عن رأس إيزيس وإله محنط وجعران وقطة .

وهناك اعتقاد شائع في مصر إن الأشياء القديمة والأثرية لها قدرة عظيمة فيما يتعلق بمنح الخصوبة ، إلا أنه من الصعب إن لم يكن مستحيلا ، ان تحصل على معلومات موثوق بها من الناس أنفسهم عن أسباب إضفائهم لهذه القوة السحرية على الآثار (١٢) .

الممارسات الشعبية ومراحل الخصوبة:

إن اهتمام المجتمع بخصوبة المرأة وقدرتها على الإنجاب ينعكس على مختلف عناصر التراث الشعبي بما فيها تلك الممارسات الشعبية المرتبطة بها مما يزيد من الدور الذي يقوم به الممارس الشعبي ويعزز مكانته الاجتماعية بالإضافة إلى تأثيره على الجوانب الأخرى في المجتمع (١٣).

وتبدأ مرحلة خصوبة المرأة منذ البلوغ وحتي سن اليأس وهي مرتبطة بالدورة الشهرية menstruation والمعدل المتوسط لهذه الدورة ٢٨يوما منذ بداية نزول دم الحيض وحتى أول يوم في الدورة التالية . ودم الحيض يعني الإفراز الدوري من خلال المهبل لرحم غير حامل لكتلة من الدم تحتوي علي خلايا نسيج غشاء الرحم المفرط ، ومعدل فترة الحيض

من ٤-٥ أيام ، وتحدث كل أربع أسابيع خلال المرحلة الإنجابية عند المرأة غير حـــامل. ويحسب عمر الجنين من اليوم الأول للدورة الأخيرة .

وكلما كانت الدورة الشهرية للفتاة في سن مبكرة زادت فترة الخصوبة عنها إذا حدثـــت في سن متأخرة (١٤).

وفي مجتمع البحث ارتبطت الدورة الشهرية بعلامات الخصوبة للفتاة قبل الزواج فلقد أتفق أغلب المبحوثات سواء الأميات أو المتعلمات ، أن بلوغ الفتاة في سن مبكرة وكذلـــك نزول دم الحيض بغزارة وانتظام الدورة الشهرية تدل علي أن الفتاة عند زواجها ســـوف تنجب ، كما أن عدم حدوث الدورة الشهرية أو عدم نزولها بانتظام أو نزولها ليـــوم أو يومين علي الأكثر بكميات دم قليلة دليل علي ضعف احتمال حدوث الحمل .

وتكشف الدراسة عن اختلاف رؤية كل من المبحوثات المتعلمات والأميات عن مكنـــون الدورة الشهرية وتأثيرها علي خصوبة المرأة . ويتضح ذلك من خـــلال أقـــوال أغلـــب المبحوثات المتعلمات " دليل علي سلامة الواحدة لقدرتها علي طرد الدم الفاســـد مـــن جسمها" ، "حدوث الدورة يعني فيه تبويض وأن الواحدة عندها اســـتعداد للحمـــل " ، "اللي يتزل عليها دم كتير وتتعب دليل علي إن هرموناتها كتير لما تتجوز تحمل علي طول" وبالنسبة للمبحوثات الأميات نجد أن أغلب الآراء تدور حول الأقوال التالية " الواحـــدة اللي بتحيلها بمغصة شديدة تحمل علي طول " ، " اللي بتزل عليها العادة كتير وهي بنـــت لما تتجوز تحمل علي طول عشان التبويض عندها كويس " الدورة لما تقعد علي الواحـــدة عشر ايام يبقي ممكن يحصل لها إجهاض ، لكن اللي بتيجي لها أربع أيام حملها عادي" الواحدة اللي نزل عليها دم العادة في سن متأخر بتغيب علي ما تحمل " .

ومن النصائح الهامة التي توجهها الأمهات لبناتهن للمحافظة علي خصوبتهن ضرورة غسل أثار دم الحيض فورا تحت الماء الجاري حتى لا يمشي عليه أحد فلا تنجب " .

ويعد دم الحيض عند كثير من الشعوب من المحرمات ، وهو المانع الأساســـي للقـــدرات الخارقة الخلاقة وللمحافظة على الحياة ، فليست العلاقات الجنسية هي وحدها الممنوعة في فترة الطمث ، بل الممنوع أيضا البقاء في محيط امرأة حائض ، والنسوة الحائضات كـــن

قدما يعزلن في أكواخ خاصة ، ولا يسمح للواحدة منهن حتى بلمس الطعام الذي تتناوله ، فدم الحيض هو ببساطة المياه السيئة والأنوثة المشئومة والتي ينبغي تجنبها ، والتخلص منها بكل الوسائل (١٥).

وفى قبيلة الكومانشي Comanchieيحظر علي النساء البالغات المشاركة فى الطقوس الدينية حتى انقطاع الحيض ، ومن الشائع أن يقوم الأطباء الشعبين بتدريب زوجاتهم علي طرق العلاج بعد انقطاع الحيض حتى يستطعن الاستمرار في تولي الأعمال المنوطة بأزواجهن إذا ترملن (١٦).

وتدور في مجتمع البحث كثير من المعتقدات حول المحرمات التي تحيط بالفتاة أثناء فترة الحيض فهي غير طاهرة ويجب عليها ألا تدخل على العروس أو السيدة حديثة الولادة قبل مرور الشهر العربي ، حتى لا تصيبهما بالكبسة –وهي الاعتقاد في قدرة بعض الأشياء أو الأشخاص علي إيذاء المرأة أثناء مراحلها الانتقالية كالزواج والحمل والإنجاب مما يفقدها خصوبتها وقدرتها علي الإنجاب فلا يمكنها الحمل –كما أن الأخت التي عليها الدورة لا تؤذى أختها لاعتقادهم أن دمهما واحد .

الخصوبة وأهمية الإنجاب

ومن الجدير بالذكر أن هناك بعض القيم ، والتصورات تعد هي المحرك الأساسي للسلوك الإنجابي وتبدو مجسدة في كثير من الممارسات لدى الأفراد وفي مختلف القطاعات المجتمعية ، وذوي المستويات الاجتماعية المتباينة ، ولا نبالغ إذا قلنا أن هذه تعد من المحددات الأساسية للسلوك الإنجابي والتي تلعب دورا أساسيا في عملية تنظيم الأسرة ، إذ تتوقف على فهمها ودراسة مدلولاتها نجاح تلك البرامج أو فشلها .من تلك القيم قيمة الإنجاب ، ذلك أن إنجاب الأطفال يدل على رجولة الزوج ، كما يدل على أنوثة الزوجة وقدرتها على الإنجاب ، فالإنجاب يكسب الزوج مكانة اجتماعية جديدة ، كما يكسب الزوجة مكانة اجتماعية جديدة هي مكانة الأم ويترتب على ذلك حقوق وواجبات جديدة أيضا(١٧) .ويعكس تفضيل الذكور في أغلب المجتمعات ، اتجاههم نحو الحجم المثالي للأسرة فهو يتحدد من منطلق التوازن الجنسي وفي دراسة مسحية حضرية قام

Ridkler لـ الهند أنه علي الرغم من أن أغلب المبحوثين أتفقوا علي أن العدد المثالي للأطفال ثلاثة ولدين وبنت إلا أنه في حالة عدم إنجاب الولد يتكرر الإنجاب الذي من شأنه رفع معدلات الإنجاب في المجتمع (١٨) .

وتعد قيمة الأولاد الذكور من القيم الأساسية التي تحدد السلوك الإنجابي في المجتمع المصري عامة والريف خاصة ، فبجانب أنهم يمثلون القدرة الإنتاجية في اقتصاد المجتمع الزراعي الذي لا يحتاج إلى تدريب فإن الولد الذكر يقف من أخوته البنات موقف الحارس الذي يصون أعراضهن ، ويحميهن من أن يتعرضن لظلم أو مهانة من أحد ، كما أنه يكون الحافظ بعد لثروة العائلة من أن تتبدد وتتوزع على الأقارب ، ولا يقنع الفلاح بالولد الواحد على قلة البنات ، فالوحيد عنده أبتر ، عاجز لايقوى على إثبات وجوده وسط مجتمع يتطلب الكثير من الأيدي العاملة من الرجال ، فالذكور وحدهم هم موضع الحسد (لا أيد تسقف وحدها ...ولا وحداني يكيد رجال) لأنه ينشأ مدللا وناعما .

وللتربية دورا أساسيا في تفضيل الذكور ، ذلك أن التصور السائد يتجلى في أن تربية الذكر أسهل بكثير من تربية الأنثى لأن الذكر مهما فعل أو تصرف تصرفا فيه شيء من الانحراف ، فإن سلوكه في الغالب يرتد إليه مباشرة ولا يشين أسرته ، بينما يشينها أقل انحراف من الأنثي وبناء على ما سبق يمكننا القول أن حب الريفيين لإنجاب الذكور يترتب عليه تكرار الحمل والإنجاب وخاصة إذا كان إنجاب البنات قد تكرر أكثر من مرة الأمر الذي من شأنه رفع معدلات الإنجاب لدى الأسرة المصرية (١٩).

أفادت المادة الأنثوجرافيه في جميع الحالات عن أهميه الإنجاب وخاصة إنجاب الذكور وارتفاع مكانة المرأة التي تتمتع بالخصوبة ،ويتضح هذا في أقوالهم المتواترة مثل "اللي خلف ما متش" ، "العيال عزوه " ، "يا مربى في غير ولدك يا زارع في غير أرضك" ، "إن المال والبنون زينه الحياة الدنيا"، "العيال رزقهم علي الله" ، "العيال عزوه " و كذلك الأمثال الشعبية "اللي ما يغلبه ولده يغلبه جلده "، "ما يجرى من قدامك إلا من حزامك"، "أبنك من دمك ينعى همك " .

كما أن المرأة الولود من الصفات المفضلة عند اختيار العروس لقـــول الرســـول (ص) " تزوجوا المرأة الودود الولود ".

ومن هنا نجد أن المرأة التي تنجب وخاصة الذكور ترتفع مكانتها لدى زوجها وأهله ومع أقوال الإخباريات " الخلف يخلي جوزها ما يفكرش يتجوز عليها ، ولو كانوا صبيان يبقوا شوكتها وسط سلايفها " ، " الأولاد يخلوا جوزها يحبها ويخاف عليـــها ولا يـهددها بالطلاق ويعمل لها قيمة وياخد رأيها في أمور حياتهم ويكون لها كلمـــة مســموعة " ، "الواحدة من غير عيال متساويش حاجة " ، "واللي ما تخلفش زي البيـــت الوقـف أو الأرض البور" ، فالمرأة المنجبة مثل الأرض الخصبة الصالحة للزراعة " ولذا نجد من أقوالهم المتواترة "الست اللي ماتخلفش زي الشجرة اللي ما بتطرحش تستاهل قطعها "، وعـــدم إنجاب الزوجة من الأسباب المقبولة اجتماعيا لكي يتزوج الرجل مرة أخرى مـــن أجـل الإنجاب ، فالمرأة المنجبة في المجتمع الريفي حياتها الزوجية والأسرية أكثر إســتقرارا ،لهـا مكانتها وسط زوجها وأهله .

أما عن المرأة العقيم فهى تواجه صعوبات نفسية واجتماعية في حياتها الزوجية والأسرية ، وهناك بعض المجتمعات التي نلاحظ فيها النساء لايرتقين إلى مرتبة النضج الكامل إلا حـين يلدن طفلهن الأول وفي مثل تلك المجتمعات لا تعتبر المرأة العاقر "أنثي" أو "بالغة" ، وهـي تنادي بتلك المصطلحات التي ينادي بها الصبية والمراهقون (٢٠) .

والعقم يهدد مكانة المرأة ويشعرها بعدم الاستقرار في حياتها الزوجيـــة لاحتمـــال زواج زوجها مرة أخرى وهي بالنسبة للمحيطين بها تفتقد لأهم مقومات المرأة وهي الخصوبـــة ولذا يجب أن تتخلى عن مكانها لزوجة أخرى تستطيع تحقق الهدف من الزواج ألا وهـــو الإنجاب . كما تخشى بعض النساء على أطفالها من المرأة العقيم خوفا من أن تحســدهم ، حيث الاعتقاد بأن المرأة المعوقة اجتماعيا وفيزيقيا تكون أكثر قدرة على الحسد ، وهنـــاك العديد من الأمثال الشعبية والأقوال المتواترة التي تتناول المرأة العقيم أو التي تفتقر للخصوبة ، منها " اللي ما تجيش ذرية حرام فيها الرعية " ، " الشجرة ما يزها إلا طرحها" (ثمارها)، كما يشبهونها بالرجل لافتقادها لأهم مقومات الأنوثة فى المجتمع ألا وهى الإنجاب، ومـــن

أقوالهم "دي زي الدكر "، "زي النخلة الدكر مستطرحش" ،"حرام معيشة الذكر وبالدكر"، "راجل نايم ويا راجل ". وتصور هذه الأقوال موقف المجتمع من المرأة غير المنجبة في نظرهم غير جديرة بالحياة الزوجية لأن الهدف من الزواج الإنجاب .

كما تبين من المادة البحثية اختلاف النظرة إلى المرأة العقيم بين الأميات والمتعلمات من جانب وبين زوجها وأهله وأهلها من جانب آخر ، فتقول إحدى المبحوثات "لما يكون الراجل متعلم بيرضى بقضاء الله والراجل الجاهل نظرته لها على ألها زي الأرض البور لا زرعة ولا نبتة "وتقول أخرى "إذا كان بيحبها ومريحاه مهما كانت الضغوط عليه لا يتجوز عليها وبيرضى بنصيبه وخاصة المتعلمين" ، إلا أن أغلب المبحوثات أتفقن على أن الزوج مهما كان تعاطفه مع زوجته فى البداية فأنه يضيق بها ويبدى استيائه ويفتعل المشاجرات باستمرار معها لرغبته فى إنجاب أبناء يحملون أسمه ويكونوا ذكرى له ، بجانب ضغوط أسرته ليتزوج مرة أخرى ، وهو يلقى قبول من المجتمع لأنه يحقق إحدى القيم المرغوبة ألا وهى الإنجاب .

إلا أن الجدير بالملاحظة إن أغلب المبحوثات المتعلمات وخاصة اللاتي يعملن ذكرن أن الحب والتفاهم بين الزوجين يعوض عدم الإنجاب لقناعتهم ألها إرادة الله سبحانه وتعالى ، وكما ورد على لسان إحداهن (محدش عارف الخير فين وممكن الواحدة تخلف طفل معوق أو يطلع فاسد ، وأكيد ربنا رحمته واسعة وحايجزي الصابرين) .

أما عن موقف أهل الزوج فهناك اتجاهين الأول وهم القلة يرضون بمشيئة الله ولا يجرحوا مشاعر زوجة الابن ، ويذهبوا بها إلى للأطباء والمشايخ ويساعدوها فى بعض الممارسات الشعبية المرتبطة بالخصوبة —سوف نعرض لها بالتفصيل فيما بعد–أما الاتجاه الثاني فلقد كشفت المادة الميدانية على اتفاق أغلب المبحوثات على أن موقف أهل الزوج يكون ضد الزوجة سواء من خلال التلميحات أو الضغط على الابن للزواج مرة أخرى ، وبالنسبة للمبحوثات الأميات وخاصة المقيمات فى مسكن العائلة يتم تكليفها بأعمال شاقة فى المنزل أو الحقل ، ويعايروها بعدم الإنجاب إذا تبرمت أو احتجت من كثرة الأعباء ، بل يسعون إلى أن تكره البيت وتخرج منه برضاها لكي يتزوج أبنهم مرة أخرى .

وبالنسبة لأهل الزوجة فأنهم يتعاطفون معها ، ويشفقون عليها ، ويدافعون عنها بان كل شئ من عند ربنا ، ويحرصوا على تجنب الحديث عن الإنجاب أمامها حتى لا يجرحوا مشاعرها ، ويأخذوها للأطباء والمشايخ لعلاجها ، كما يواسون الزوج "ويحوطون عليه"، ومساندته حتى لا يترك أبنتهم .

كشفت المادة الميدانية عن الكثير من الممارسات الشعبية التي تساعد المرأة علي الحمل والإنجاب وهي ترتبط بمراحل خصوبة المرأة بدءا بالزواج وما يتبعه من تأخر الحمل أو العقم أو الإجهاض وحتى الولادة تحاط بممارسات وطقوس خوفا من عدم تكرار الحمل .

الزواج :

إذا كانت الوظيفة الأساسية للزواج هي إنجاب الأطفال للمحافظة علي النوع واستمراره فأنه لابد أن يحاط بالشعائر والطقوس التي تمنح الخصوبة للزوجين ، وتجعله زواجا مثمرا(٢١).

اعتاد المصريون في عهودهم الأولى التبكير بالزواج لاعتقادهم أن فيه صيانة للنفوس من التلوث بالنقائص ومراعاة لاستلزام حرارة الجو ، وقد قال بعض الحكماء لتلاميذه ما معناه (أن من بادر بالتزوج في صباه وهو في ريعان الشباب وإقبال الحياة يمكنه أن يرى في شيخوخته ذرية تسره نشأتها ويستطيع تربيتها علي ما أوتي من نشاط وسعة في الرزق فيكونون لعينه قرة ولآماله ذخرا)(٢٢) .

يمكن للزوجة المصرية أن تصبح أما في سن الثانية عشرة ، لكنها تصل لذلك في العادة في سن الرابعة عشر ، وتظل في سنواتها المقبلة تقدم الأدلة على خصوبتها المذهلة ، ومن الممكن لها أن تصبح أما مرة كل تسعة أشهر ، ولكننا نستطيع القول لكي نقدم نسبة دقيقة بأن كل مصرية تنجب طفلا كل ثلاثة أعوام ، ويقدم ذلك التقدير نوعا من التعويض بالنسبة للسيدات الآتي يتميزن بخصوبة قليلة أو اللآتي تجعلهن بعض الأسباب الخاصة عاجزات عن الإنجاب والعقم التام شديد الندرة في هذه البلاد ، بل أنه يعد بمثابة عار للمرأة ، لذا تلجأ السيدة العقيم إلى كل الوسائل التي تفرضها معتقدات النساء وخزافاتهن لكي تستطيع الإنجاب .

لكن السيدات في نفس الوقت لا يبقين خصيبات لسن متأخرة كما يحدث في أوروبا ، فما أن يقتربن من سن الثلاثين حتى تؤدي نوبات الحمل المتكررة إلى جعل الولادة عسيرة مما قد يكلف الطفل الذي كن سيتباهين به حياته ، وسن الخامسة والثلاثين هي السن الطبيعية التي يتوقف عندها معظم السيدات عن الإنجاب ، ويظل بعضهن يتمتعن بنعمة أن يكن أمهات حتى سن الأربعين ، لكن تلك حالة شاذة ونادرة الحدوث ، ومن غير المألوف أن ترى سيدة تنجب بعد هذه السن ، وتكون هذه فترة مزعجة بالنسبة للسيدات المصريات ، إذ يشعرن في هذا الوقت ببعض الاضطرابات والتقلبات التي تؤذي صحتهن ، لكن السيدة التي تفلت من هذه الأزمة يمتد بها العمر في بعض الأحيان لسن متقدمة جدا(٢٢) .

من الملاحظ عن المادة الإثنوجرافية بالمعتقدات والطقوس التي تصاحب مرحلة الزواج خوفا من فشل الغرض الرئيسي منه وهو إنجاب الأطفال ولذا يحرص أعضاء المجتمع على القيام ببعض الممارسات التي يعتقد أنها تحمي خصوبة العروس بدءا بعقد القران والذي تصحبه بعض الممارسات خوفا من الأعمال السحرية والربط *-حجز يصيب الرجل، ويفقده القدرة على الانتصاب أثناء العملية الجنسية* - والذي يعقده أحد أعداء العروسان والذي كان يرغب في الزواج من أحدهما .ولذا أثناء عقد القران لابد من القيام بواحدة من تلك الممارسات :

١-تقوم إحدى قريبات العروس بفتح المقص وغلقه عدة مرات .

٢-تخيط عمتها الجزء الأسفل من الفستان بدون عقدة وعند إتمام العقد ، يسحب الخيط خوفا من الربط .

٣-كما يعتقد أن الإبرة بدون خيط عندما تخيط بها ذيل الفستان تفك الأعمال السحرية ولا تؤذيها على شرط أن تقوم بذلك فتاة غير مخطوبة وأكبر أخواتها .

٤-تقف امرأة من أهل العروس وفى يدها علبة كبريت ، وتستمر فى إشعال عود الكبريت وعندما يطفئ تشعل آخر وهكذا حتى يتم عقد القران .

أما بالنسبة للزفاف يفضل أن يتم فى أواخر الشهر العربي ، حيث الاعتقاد إن مرور شهر عربي على العروسان يقلل من احتمالات الإصابة بالكبسة والتي تفقدها خصوبتها حتى يتم فكها ببعض الممارسات —سوف نعرض لها — وكذلك الأعمال السحرية ولعل أخطرها الربط للعريس ولذا أكدت أغلب المبحوثات (الأميات) على ضرورة أن يلبس كلا العروسان قبل كتب الكتاب ، قطعة من شباك الصيد وهما قطعة صغيرة من الرصاص ويربط بها حجاب حول الوسط حتى يمر شهر عربي عليهما لحمايتهما من الأعمال السحرية ، وليس لفك الأعمال . ومن أقوال أحد المبحوثات (أمية)"ممكن حد من اللي يكرهوا العروسين يعمل للعريس ربط ، يخليه ميقدرش يقرب من عروسته ، وعشان يفكوا الربط يجيبوا بيضة فرخه مسلوقة ويقسموها بشعرتين من شعر العروسة وياكل كل واحد نص البيضة ، ويخطوا فوق البخور سبع مرات " . وتروى إحدى المبحوثات (متعلمة) عن الربط " خالي فى ليلة فرحه مقدرش يقرب من عروسته ، وكان يقول كل ما أقرب منها ألاقيها مسدودة ومش عارف يعمل حاجة وكانت حالته النفسية سيئة جدا ، وقعد على الحال ده أسبوع ، راح للدكتورة أكدت له العروسة سليمة وكشف هو وتأكد إنه سليم، وصرف على العلاج ٨٠٠جنيه ، وبعدين راح لشيخ وفك له العمل اللي عملته أم واحدة كان خطبها ومحصلش نصيب والشيخ كتب له ورقة حمرا ويدوها فى ماء ورد ويشرب شويه ويغتسل بالباقي ".

وفيما يتعلق بالطقوس التي تصاحب فض البكارة فهي مرتبطة بالفكرة الأساسية في الزواج ألا وهي الإخصاب ، فالعذراء في المفهوم الشعبي أقدر عليه من الثيب ، ولذلك يقتصر الاحتفاء بزواج الأولي دون الثانية ، والإخصاب هنا مؤداه إنجاب الأطفال لأب معين ومحدد ، ومن ثم يعلن ذلك الإعلان الصارخ عن أنها عذراء أي أنه لم يسبق لها أن عرفت رجلا من قبل ، بما قد يحمل علي الاعتقاد بسلامة وشرعية أطفالها منه (٢٤) .

ومن المعتقدات الشائعة في مجتمع البحث أن تأجيل فض غشاء البكارة عن يوم الزفاف قد يؤدي إلى غياب حمل العروس ، كما تحتفظ العروس بالشاشة التي عليها دم فض بكارتها لاستخدامها في حالة عدم إنجابها بان تضعها في الماء وتغتسل به .أو تضعها فوق رأسها

وتسكب الماء عليها وهي تتشاهد (أي تقول أشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله)كما يعتقد أن الممارسات المرتبطة بدم البكارة لا تصلح إلا لصاحبته ولا يستخدم لغيرها حتى لا تكبسها .

ومن الملاحظ في مجتمع البحث أن أغلب المبحوثات المتعلمات اتفقن علي ضرر استخدام دم البكارة في الممارسات الشعبية وخاصة إذا استخدمت السيدة البعض منه كاللبوس "صوفه "تضعه فى الرحم وقد ذكرت واحدة فقط من تلك الفئة أنها وضعت الفوطة التي بها دم البكارة في الماء كم نصحتها أمها اغتسلت بالماء ولكنها لم تحمل .

ومن الملاحظ من المادة الميدانية أن هناك العديد من التحريمات والقيود يفرضها المجتمع على المرأة فى فترة الخصوبة خوفا من تعرضها للكبسة وهى تعنى فقدان القدرة على الحمل أو الإنجاب والتى قد تصيب العروس ليلة زفافها فيتأخر حملها ، والزوجة بالإجهاض أو وفاة أطفالها ، والسيدة بعد الوضع فى فترة النفاس فلا تحمل مرة أخرى أو لا تستطيع إرضاع طفلها ، وفى حالة حدوث انتهاك لتلك المحرمات أو القيود ،تصاب المرأة بالكبسة ،ولذا لابد من القيام ببعض الممارسات الشعبية الخاصة بكل منها للتخلص من آثارها وسوف نتعرض لأهم التحريمات والقيود المرتبطة بحدوث الكبسة والتي تناولتها أغلب المبحوثات (الأميات) والبعض من (المتعلمات) وخاصة اللاتي يقمن فى بيت العائلة حيث تأثير الأقارب وكبار السن من النساء أقوى من تأثير التعليم وهي كما يلي :-

١-يجب ألا تخرج العروس أو الوالدة قبل أن يمر عليها الشهر العربي ، كما تمنع الفتيات من زيارة العروس حتى يمر شهر عربي منعا من أن تكون إحداهن عليها الدورة الشهرية ، وإذا حدث ذلك فإن الفتاة التي تسببت فى حدوث كبسة العروس أن تتبول ثم تتبول عليه المرأة المكبوسة ساعة آذان الجمعة ، والجدير بالملاحظة إن أخت العروس التي عليها الدورة الشهرية لا تكبسها إذا دخلت عليها لأنه يعتقد أن دمهما واحد .

٢-يجب ألا يزور العروس أو السيدة الوالدة شخص شارك فى جنازة أو عائد من زيارة المقابر ولفك الكبسة التي حدثت لها نتيجة ذلك نجد العديد من الممارسات منها أن تستحم بماء غسل ميت ويفضل أن تكون سيدة ، ثم تلقيه في الشارع ،أو استعمال اللوف

الخاصة بالميت ، وعلى الرغم من أن بعض المبحوثات ذكرن لي أنها معتقدات خاطئة ، وهي ترتبط بالحالة النفسية للمرأة حيث قالت إحداهن (أن إحدى جاراتها نصحتها النساء بأن تغتسل بغسل ميت ، وطلبت من إحدى السيدات اللاتي تحضر الغسل أن تحضر مياه الغسل إلا أنها لم تستطع أن تحضره لها ، وأحضرت لها مياه جارية من الحنفية ، وأوهمتها أنها مياه غسل ، وفعلا تم الحمل اعتقادا منها أنه ماء غسل) ، ومع ذلك نجد كثير من الروايات المتواترة عن تأثير غسل الميت في إحداث الحمل .

وقد ذكرت إحدى المبحوثات من (المتعلمات)تجربتها الشخصية "تزوجت ومرت سنة و لم أحمل ورحت للدكتور من غير فايدة ، وفى يوم حلمت مرات السواق بتاع جوزي إن مكبوسة من واحد ميت وأن واحد قالها لابد من أن تغتسل بغسل ميت، وفعلا استحميت بغسل ميت وحملت بعد كدا وعندي دلوقت أربع صبيان ، وحتى أمي فضلت أربعتاشر سنة متخلفش وكانت مكبوسة ، وعندها أخ بتموت له البنات، حطت واحدة من البنات على حجرها وماتت على رجلها وحملت بعد كدا ". وكذلك الذهاب إلى المقابر أثناء صلاة الجمعة على أن تمر على سبع شوارع ولا تحدث أحد ولذا تصحب معها سيدة أخرى لتنوب عنها فى رد السلام أو الحديث ، ويجب أن تدخلها بظهرها وألا تعود من نفس الطريق. كما أن المرأة التي مات طفلها وتأخر حملها تذهب إلى مقبرة طفلها فى صحبة حفير المقابر وتقوم بتغيير وضعه لاعتقادهم إن عدم الإنجاب يرجع إلى أنه ينام على وجهه ، وعندما تقوم بتعديل وضعه سوف تدخل روحه داخلها فتنجب مرة أخرى وتقول إحدى الأخباريات " لو مات عيلها وما خلفتش تاني يقولوا لها روحي وافتحي تربته ليكون العيل مقلوب إعدليه عشان تحملي".

ويرجع ارتباط المقابر والأموات بطقوس الخصوبة إلى الاعتقاد فى تناسخ الأرواح الشائع بين الفلاحين

وهناك ممارسات مشابهة عند البنجالا وهي قبيلة تقيم في شمال الكونغو ، ففي إحدى المرات شوهدت امرأة من تلك القبيلة تحفر حفرة في الطريق العام ، وأوضح زوجها لأحد الضباط البلجيكيين أن زوجته تريد أن تصبح أما وتوسل إليه ألا يضايقها ، وتعهد

بإصلاح الطريق بعد ذلك ، واستمرت المرأة في الحفر إلى أن أخرجت عظام طفلها الميت التي احتضنتها بحب شديد متوسلة إليه أن يدخل جسدها ليولد من جديد ، وفي هذه الحالة ترى وبنفريد بلاكمن طقوسا مشابهة لما يحدث في مصر الحديثة ومصحوبة بنفس الاعتقاد (٢٥).

٣-كما يجب ألا تدخل العروس على الوالدة أو العكس لأن كل منهما تكبس الأخرى وكذلك العروس تكبس مثيلتها في نفس الشهر العربي وإذا حدث يجب أن ينتظرا هلول الشهر العربي ويخرجا معا حتى تزول الكبسة ، وكذلك في حالة وجود امرأتان حوامل في نفس البيت يجب أن تلد أحدهما خارج البيت ، حتى لا تكبس أحدهما الأخرى ، ولفك الكبسة التي تحدث للعروس من الوالدة ، أن تنتظر حالة ولادة لإحدى القريبات ، وتأخذ قطنه لها دم ساخن من الخلاص وتدخلها في الرحم . وكذلك الأم التي فطمت طفلها يجب ألا تدخل على العروس أو الوالدة ، وإذا حدث فإن المكبوسة تأخذ قطنه لها لبن الفطام وتلبسها ،ولتجنب حدوث كبسة للعروس أو الوالدة لابد من خروجها لاستقبال آي من الزوار لها ولا تنتظر دخولهم عليها ، وقد ذكرت أغلب المبحوثات من الفئتين إنهن يفعلن ذلك .

٤-لا يدخل على العروس أو الوالدة الزوج بعد حلاقته بل يجب أن تخرج هي إليه ، وإذا حدث فلابد من وضع عدة الحلاقة في الماء ليلة الخميس وتستحمي عند آذان الجمعة لفك الكبسة .

٥- إذا دخل أحد يحمل باذنجان فأنه يجب على المرأة المكبوسة أن تذهب إلى أرض مزروعة باذنجان وتخلع شتلة مزهرة وتتبول مكانها ، أو أن تلفه سبع مرات من الشرق إلى الغرب .كما يعتقد أن الليمون والبلح الكبيس (العجوة) يكبسوا العروس والسيدة الوالدة.

٦-إذا دخل الزوج عليها وهو يحمل لحم ذبح وحدث لها كبسة ، عليها الذهاب إلى الجزار أثناء ذبحه لجاموسة تخطي على الذبيحة سبع مرات وهي تقرأ بعض الآيات القرآنية ، أو تضع اللحم في الماء ثم تغتسل بالمياه .

وهناك بعض الممارسات لفك الكبسة التي لا يعرف مصدرها منها :

١-أن يحضر لها أحد الأقارب عقد أزرق من أحد المشايخ الذي أتى به من السعودية أو من البدو وتضعه فى المياه ليمر عليه ثلاث آذنات فى يوم كامل وتستحمي بها لمدة ثلاث أيام ولابد أن تأخذ أمها أو أختها الماء وتلقيه عند مفترق الطرق .

٢-أن يقذفوا في وجهها حرباء أو ضفدعة لاعتقادهم أنها فزعت وهي صغيرة ، ولن يشفيها سوى فزعة أخرى .

٣-تحضر أوراق البرتوف -نبات بري ينبت علي الترع -وتغليها في حلة ماء ، وتوضع في طشت ، وتأخذ السيدة البوخة وهي ملفوفة في البطانية .

٤-تضع سبحة الكارم وتضعها في صدرها وتنزلها من ذيل جلبابها سبع مرات .

تضع المرأة صوفه بها بعض شيح وزيت .

٥- عمل كاسات هواء عن طريق القابلة خوفا من إصابتها بالرطوبة ، وهي إما أن تكون عن طريق إحضار كوب زرواية (إناء فخار) وإشعال كبريت فيه حتى يحترق الأكسجين الموجود فيها ثم وضعها على ظهر السيدة .

٦-تحضر المرأة حمامة بيضاء لم تحلق سوى مرة واحدة ثم تذبحها ، وتصعد بها إلى السطح لتسمع ثلاث آذنات (المغرب والعشاء والفجر) حتى لا تكون الشمس ساطعة ثم تأكلها

الممارسات والتحريمات المرتبطة بالحمل

يعد الحمل الوظيفة التي لا نظير لها للمرأة فلا يوجد مجتمع يستمر بدون إنجاب أطفال ، لذا فالحمل يحقق أهم وظيفة للمرأة ألا وهي الإنجاب (٢٦) .

وهناك بعض الأعراض العامة التي تصيب المرأة وتعد علامات على حدوث الحمل منها تأخر نزول الدورة الشهرية والرغبة المستمرة فى النوم وانتفاخ البطن وكبر حجم الثدي وتغير لونه ، وألام الظهر،وظهور كلف على الوجه والعنق ، بالإضافة للرغبة فى بعض الأطعمة والفاكهة فى غير أوانها ويسمى "وحم" -فلقد ذكرت إحدى المبحوثات إنها أتوحمت على كبده وهرشت فى أيدي طلعت على أيد بنتى حتة كبده وكل ما تكبر ، تكبر معاها (مع الأخذ فى الاعتبار أن الكبده من الأطعمة إلى يستحب عدم تناولها أثناء

الحمل)- وكذلك كراهية بعض الأشياء مثل الشاي ورائحة السجائر ورائحة صابون الحمام ، وقد تكره معاشرة زوجها فى الأشهر الأولى ، وغيرها من الأعراض التي تختلف من امرأة لأخرى ومن حمل لآخر . وكذلك بين الذكور عن الإناث فتقول إحدى الإخباريات "وأنا حامل في التلات صبيان بطني صغيرة جدا مكنش حد يصدق أني حامل إلا لما أولد ، أما فى البنت بطني كبيرة ومدورة " ومن أقوال المبحوثات عن الاختلاف بينهما " أنا بارجع فى الولد والبنت لا"، "البنت بتحلي أمها والولد بيوحشها "، "البطن المطاولة للإمام يبقى ولد ولو بطنها للجنب تبقى بنت "، " الولد يتحرك فى البطن بسرعة والبنت تتحرك ببطيء ".

هناك بعض التحريمات والقيود التي تفرض على الحامل خوفا من عدم اكتمال الحمل ، منها ما يتعلق بالأطعمة والمشروبات مثل عدم شرب المياه الغازية أو القرفة أو المشروبات الساخنة .وكذلك لا تأكل الشطة والكبده والعدس

وتعتقد الكثيرات أنه يجب أن يمتنع الزوج عن جماع الزوجة فى الشهور الثلاثة الأولى حتى لا يحدث لها إجهاض بينما يفضل أن يكثر من ذلك في الشهر الأخير لتسهيل عملية الولادة .

كما يجب ألا تنظر الحامل إلى الأشخاص المعاقين أو المعتوهين ، بل يجب أن تحرص على النظر إلى الصور الجميلة .

وأيضا لا تحدق للحيوانات الشرسة فكما تقول إحدى المبحوثات "متبصش للكلاب عشان العيل ما يطلعش شرس زيهم "..

أما عن تأخر الحمل فأنه يقترن بكثير من الممارسات نظرا لأنه يعد من الأوضاع التي لها صداها الاجتماعي والثقافي والنفسي ، ولذا تلجأ النساء إلى كل الطرق التي من شأنها إنهاء هذا الوضع .

وهناك بعض الاختلافات بين المبحوثات من الأميات والمتعلمات فيما يتعلق بتأخر الحمل ، فبينما ترى الأغلبية من الفئة الأولى أنه يبدأ الشعور بالقلق من تأخر الحمل بعد حوالي ستة

أشهر ، ويجب البدء فى البحث عن أسباب عدم الإنجاب سواء من خلال القابلة أو الشيخ ثم الذهاب إلى الطبيب .

وبعد عشر سنوات يبدأ الأمل فى الإنجاب يخبو ، على الرغم من إن هناك حالات حمل حدثت بعد أكثر من عشر سنوات .

وبالنسبة للفئة الثانية فترى المبحوثات أنه بعد سنة على الأقل يجب البحث عن أسباب عدم الإنجاب بالذهاب إلى الطبيب وعمل التحاليل اللازمة لعلاجها ، ولا تفقد الأمل إلا بعد أن يكشف لها الطبيب عن عائق يمنع الحمل أو أن تبلغ السيدة سن اليأس

الحمل الكاذب وهي حالة تعتقد المرأة خلالها أنها حامل بينما هي ليست كذلك ، وهناك بعض العلامات والأعراض التي تشبه الحمل مثل تأخر الدورة الشهرية menstruate على الرغم من عدم تخصيب البويضة ، وهذه الحالة قد تحدث لأسباب نفسية أو ورم أو اضطراب الهرمون الجنسي (٢٧)

وتتشابه أعراض الحمل الكاذب مع نفس أعراض الحمل الحقيقي أو بعضها ، من انقطاع الدورة الشهرية وانتفاخ البطن والقيء والرغبة المستمرة فى النوم ، وكراهية بعض الأطعمة والروائح بل وكراهية العلاقة مع الزوج أحيانا ، وقد ترغب فى بعض الفواكه فى غير أوانها أو أطعمة غير معتادة عليها .

وقد تبين من الدراسة أن أغلب المبحوثات سواء كن أميات أو متعلمات قد سمعن عن الحمل الكاذب، لحدوثه لهن أو إحدى قريباتهن أو جيرانهن ويسميه البعض "حمل غزلاني" ومن أهم أسبابه لدى المتعلمات هو تأخر الحمل والرغبة الشديدة فى الإنجاب أو من أعراض سن اليأس وخاصة فى البداية عندما تنقطع الدورة الشهرية عن النزول فتعتقد السيدة أنها حامل . أما الأميات بالإضافة للأسباب السابقة فقد ذكرن إنه قد يرجع للغيرة من زواج الزوج مرة أخرى أو الغيرة من إحدى الأقارب أو الجيران حامل ، والأغلبية يلجأن للطبيب .

وتقول إحدى المبحوثات (أمية) "جارتي حست إن جوزها هايتجوز عليها ويطلقها ، تأخرت عليها الدورة شهرين وحست بغممان نفس ودوخة ، قالت إنها حامل ، ولما

راحت للدكتور قال لها ده مش حمل وأنه حمل كاذب ، خافت تقول لجوزها استنت كام شهر وقالت إنها سقطت (أجهضت)"

كما تلجأ المرأة التي تظهر عليها أعراض الحمل الكاذب إلى القابلة فى البداية فكما تذكر إحداهن (أمية) "بنت سلفتي لما تأخرت عليها العادة ، راحت للداية لقت صدرها مليان عن ما كان ، قالت لها متقوليش لحد أنت حامل وكل ما تكبر بطنها يتأكد حملها وتيجى تنام على جنبها يتقلب معها ، وحست بتعب شديد أخدوها للدكتور وعمل لها أشعة وطلع أنه كيس ميه وعملت العملية وحملت بعد سنة" . وقد تكتشف الزوجة أن حملها كاذب بنفسها لنزول الدورة الشهرية بعد تأخرها عدة شهور ، أو أن تتأخر عليها الدورة تسعة أشهر ولا تلد فتدرك أنه حمل كاذب .

وتختلف النظرة بين المبحوثات عن مكنون الحمل الكاذب فتقول إحداهن "عبارة عن دم متكون زي عنقود العنب " وأخرى "ده دم فاسد مخزون فى البطن وتروح للدكتور يديها حقنة تنزل الدم " ، وثالثة تروى "أختي كانت فاكره نفسها حامل وراحت للدكتور طلع من بطنها حاجة زي كوز اللوف" ، وقد تعتقد كثير من المبحوثات (المتعلمات) أن الحمل الكاذب هو "حمل خارج الرحم نتيجة حدوث الإخصاب خارج الرحم ....ده تخصيب للبويضة خارج الرحم ".

أما عن النظرة للمرأة التي يحدث لها حمل كاذب فهى أما أن تقابل بالشفقة والعطف والدعاء أن يرزقها الله بالابن الذي تشتاق إليه ، وقد تتعرض فى بعض الأحيان للسخرية والاستهزاء وخاصة من أهل الزوج وزوجات أخوته ويرشقونها بالعبارات الجارحة مثل "عشموني بالحلق خرمت أنا ودانى " يا فرحة ما تمت خدها الغراب وطار ".

وبالنسبة لحدوث الإجهاض فأن الأمثال الشعبية تعكس التعاطف مع المرأة مثل "ماتقوليش لأبوه أيده في أيد أخوه" ، "أول بيضة للغراب" ، "ألف كوز ولا العزازة" ، وبجانب أن أغلب المبحوثات المتعلمات تؤيد الذهاب إلي الطبيب لأنه يربط الرحم ثم يفكه ساعة الولادة ، أو يعمل لها التحاليل لمعرفة أسباب الإجهاض وتحديد العلاج المناسب للحالة . أما عن أسباب الإجهاض من وجهة نظر المبحوثات الأميات والممارسات المرتبطة

لها فهي تدور حول بعض الأعمال السحرية التي تقوم بها إحدى السيدات التي تكرهها أو تريد إيذائها وعليها أن تذهب للشيخ لعمل الاحجبة وتضعه في صدرها حتي يكتمل الحمل ، وورق مكتوب بماء الورد والزعفران وتضعه في الماء لمدة ست ساعات ثم تستحمي به وبعد ذلك تلقيه في مفترق طرق ، وتذكر إحدى المبحوثات " فيه شيخ يعالج الحالات دي أنه يشاور بالخشبة علي الست ويقرأ عليها آيات ومن جلسة واحدة يعرف عندها آيه ويعالجها " .أو تذهب للشيخة جارية التي تقوم بالكتابة علي ورق لتضعه في الماء ليلة الخميس وتستحمي ساعة آذان الجمعة. وتعطي للمرأة صوفه لتلبسها (توضع كاللبوس في الرحم) .وقد تنصحها وألا تنظر إلي المرآة كثيرا حتى لا تغضب أختها تحت الأرض "فتخبطها وتسقط " . وقد يحدث الإجهاض بسبب ضعف ظهر المرأة فلا يتحمل الجنين وتذهب إلي القابلة لتحضر لها قفل في قطعة من شباك الصيد حتى يكتمل الحمل . ومن الممارسات أيضا أن تقوم فتاة بكر بإغلاق قفل علي ظهرها طوال فترة الحمل حتى لا يزل الجنين اعتقادا منهم أن إغلاق الظهر بالقفل سوف يغلق الرحم فلا يحدث للمرأة إجهاض وتستطيع أن تكمل حملها .

الولادة وخصوبة المرأة

وعلى الرغم من أن إنجاب طفل دليل على خصوبة المرأة ، إلا أن عملية الولادة نفسها تحاط ببعض الطقوس خوفا من إصابة الأم "بالكبسة"-عرضنا لها من قبل والتي تؤدي إلي انقطاع اللبن أو عدم إنجابها مرة أخرى .

ولقد تبين من الدراسة الإثنوجرافية أنه على الرغم من الفروق البنائية بين المتعلمات والأميات ، فالفئة الأولى تحرص على الولادة عند الطبيب أو المستشفي خوفا من التلوث أو الإصابة بالأمراض وحتى تكون تحت الرعاية الطبية ، وهى لا تهتم كثيرا بكيفية التخلص من المشيمة ، بينما أغلب المبحوثات الأميات يحرصن على الولادة فى المنزل لأن القابلة تأخذهن علي راحتهن ، وهن يتفاءلن بها إلا في الحالات التي تواجه صعوبات فتشير عليهم بدخولها المستشفي ، كما يحرصن علي عدم الخروج من المنزل قبل مرور شهر عربي، وكذلك وضع كيس من الزهرة الزرقاء (تستخدم في غسيل الملابس)، أو بعض

الخرز فى صدرها لمنع حدوث الكبسة ، وإذا حدثت فإن هناك العديد من الممارسات لفكها .

إلا أن الجدير بالملاحظة أن أغلب المبحوثات من المتعلمات قد ذكرن أنهن يخضعن أحيانا لرغبة الأم أو الحماة فى بعض الممارسات مثل ضرورة أن تخرج لزوارها-وخاصة إذا لم يهل عليها شهر عربي جديد- حتى لاتدخل عليها إحداهن وعليها الدورة الشهرية أو تتحلى بذهب جديد أو بندقى (عيار٢٤)، أو أم فطمت طفلها أو والدة فى نفس الشهر العربي-وهى كلها حالات يعتقد أنها تحدث الكبسة ، إلا أنهن رفضنا الممارسات المتعلقة بفك الكبسة وفضلن الذهاب إلى الطبيب لمعالجة الأسباب العضوية ، بينما ترى أغلب المبحوثات من الأميات أنهن يقمن بالممارسات التي تفك الكبسة — سبق تناولها -وإذا فشلت يذهبن إلى الطبيب .

الممارسات المرتبطة بالخلاص

ويرتبط الحبل السري والمشيمة (الخلاص) عند كافة شعوب الأرض تقريبا سواء المتخلف أو المتحضر بروح وحياة وموت وصحة وطباع ونجاح أو فشل الشخص الذي يولد فيه ، ولذلك نجد أنه يرتبط بالاعتقاد الإنساني في الروح الخارجية أو الروح التي لا تنفصل عن الجسد ، ومن هنا أصبح ما يحدث للخلاص يؤثر في حياة الطفل بل ويحدد مصيره حيث يعتقد أنه يحوى روح الطفل الوليد أو يضم روحه الحارثة أو هو أخوه أو توأمه الحقيقي ، وانه مرتبط به ارتباطا وثيقا . فالتصرف فيه أو مصيره سوف يحددان مهارات الطفل وحظه ومصيره في الحياة . وتنتشر تلك المعتقدات لدي كافة شعوب الأرض . فلو نظرنا إلي قبائل اليوقاغير Yukaghir مثلا في شمال شرقي سيبيريا فنجد أنهم يلاحظون تلك العلاقة التعاطفية بين الوليد وبين خلاصه حيث يلف في جلد الرنة ويلفون معه نموذجا مصغرا لقوس وسهم وسكين خشبية صغيرة ، وقطعا صغيرة من الفراء ، وذلك بهدف أن يصبح هذا الوليد صائدا ماهرا . أما خلاص البنات فتوضع معه سكين صغير مما يستعمله النساء ، و"كستبان" و"إبرة " ويلف كل هذا مع الخلاص في لفة ، والهدف من ذلك أن تصبح المرأة ماهرة في بيتها (٢٨).

وتفيد المادة الإثنوجرافية إلى ارتباط الخلاص بكثير من الممارسات التي تساعد علـــى خصوبة المرأة .

لاعتقادهم إن استخدام الخلاص يجعل المرأة العقيم فى حالة انفعال كامن مما يساعدها على التبويض كما يعتقد أن الرحم والجسم يغيروا من خلاص المرأة الأخرى فتحمل .

من تلك الممارسات أن تجلس المرأة إلتى لا تنجب على الخلاص فور نزوله وتجعل حرارتـه تدخل فى جزئها الأسفل ويفضل أن تكون السيدتان أقارب حتى يسمح لها بحضور الولادة التي تقتصر على المقربات من الأم وكذلك خوفا من إصابتها بالحسد إذا كـــانت غريبـــة وعن ارتباط الجلوس على الخلاص بحدوث الحمل ترى أغلب المبحوثات (الأميات) "أنـــه يجعل جسم الواحدة تغير " ومن أقوال المبحوثات (أميات) " قريـــتي أتجـــوزت قبلـــي ومحملتش ، ولما جيت أولد أخذت خلاص بنتي وقعدت عليه وحبلت بعدهـــا بشـــوية" "يعكوا أضمه (يأخذوا قطعة صغيرة) من الحبل السري وتلبسه زي الصوفة" " الواحـــدة اللي ما بتخلفش تاخد قطنه فيها دم الخلاص وتضعه فى سفرتها (رحمها)"

وعلى الرغم من العديد من الآراء التي تؤيد الاعتقاد أن الخلاص يمنح المرأة الخصوبة إلا أن البعض منهن ذكرن أن هناك العديد من الحالات فعلت ذلك و لم تحمل .

وبالنسبة للمبحوثات من المتعلمات فقد استنكرن تلك الممارسات على الرغم من علمـهن باستخدامها فى العائلة أو المعارف وقد أجمعن على أن أفضل وســيلة لعـــلاج مشـــاكل الخصوبة سواء عقم أو تأخر حمل أو إجهاض متكرر هو الذهاب إلى الطبيـــب وإجـــراء التحاليل والأشعات اللازمة وتقول إحدى الإخباريات " عمتي (أخت الزوج) قعدت على خلاص سلفتها سبع مرات وفعلا تم الحمل ، وطلبت من مرات أبنها ما بتخلفش تقعـــد على خلاص مرات ابنها اللي لسه والدة لكنها مارضتش أبدا لأنها متعلمة "

كما يتضح الاختلافات بين كل من المتعلمات والأميات فى طرق التخلص من الخـلاص ، حيث تحرص أغلب المبحوثات من الأميات على التخلص منه فى مياه جاريـــة ولابـــد أن ترميه أخت الوالدة أو أمها الخلاص وهى تضحك حتى يكون الطفل بشـــوش الوجـــه ،

والمياه الجارية حتى يطول عمره . ومن الأقوال المتواترة " اللي خلاصه يـــترمى في الميـــه جرحه يخف على الميه واللي تدفنه فى التراب جرحه يغيب

كما يعتقد إن الرمي فى البحر يمنع استخدامه فى إيذاء الأم أو الطفل من قبـــل إحـــدى السيدات التي تريد إيذاءهم .

وتحرص بعض العائلات الريفية على دفن الخلاص فى الأرض ومعه مسمار وكيس ملح لمنع رائحة التعفن وغالبا ما يدفن على عتبة مكان يبشر بمستقبل زاهر لطفلهم مثل عتبة مدرسة أو كلية "علشان يطلع متعلم ويحب العلام " ، أو على عتبة صائغ أو صيدلية لاعتقـــادهم إن مستقبله يتأثر بهما .

وقد يفضل البعض دفنه على عتبة البيت حتى يجلب الرزق لأهله ، ولا يترك الخـــلاص فى الشارع حتى لا يأكله كلب فيموت الطفل

وبالنسبة لأغلب المتعلمات تتم ولادتهن في المستشفي أو لدي الطبيب الخاص ، و لم يبديـن اهتمام للاحتفاظ بالخلاص والقلة منهن فقط تري ضرورة أخذة ليتم دفنه تحـــت الأرض لأنه سنة .

الخصوبة وتنظيم الأسرة

يهتم التراث الشعبي بالخصوبة ، ولا يذكر شيئا عن فكرة تنظيم الأسرة ، ذلـــك أن كثرة الإنجاب من القيم الاجتماعية التي لازالت سائدة في المجتمعات التقليدية فهي دليـــل علي أنوثة المرأة التي تكتسب مكانتها في المجتمع الريفي كامرأة منجبة ، كما أنها دليل علي رجولة الرجل ،كما أنها تتفق والاتجاه الروحي الذي يسود القرية المصرية مثـــل " الأولاد أحباب الله " ، " المال والبنون زينة الحياة الدنيا ،"ربنا ماخلقش حد ونساه " ، " اللـــي خلقهم يرزقهم " .ومما لاشك فيه أن المأثورات الشعبية المرتبطة بالخصوبة مـــن العوامـــل الهامة المؤثرة في شخصية الإنسان الريفي ومن ثم في سلوكه الإنجابي .

كما أرجع الباحثون عامة ارتفاع نسبة الخصوبة في شمال أفريقيـــا ومجتمعـــات الشـــرق الأوسط إلى الدور الذي تقوم به المعتقدات الدينية والثقافة الشعبية حيث إنجاب الأطفـــال من القيم المرغوبة فى تلك المجتمعات مثل امتلاك الثروة .

معظم الأبحاث التي تناولت الخصوبة ، كانت بغرض بحث النمو السكاني ومدى انتشار وسائل منع الحمل ، والإقبال عليها .

وعلي الرغم من أن هناك اتفاق عام علي أن نسبة الخصوبة في المدن تنخفض عنها في المناطق الريفية إلا أن ضبط النمو السكاني وانخفاض الخصوبة لا يرتبط فقط بالحضرية ولكن أيضا بارتفاع المستوي التعليمي والمكانة الاقتصادية وتأخر سن الزواج (٢٩) .

كما يجب أن يؤخذ في الأعتبار العوامل الثقافية وما تحويه من قيم ومعتقدات والتكامل البنائي الذي يشمل النظم الاجتماعية والأقتصادية والقرابية ونظم الضبط الاجتماعي لأنها تكشف بوضوح لماذا يرغب بعض الأشخاص في إنجاب الأطفال بينما لا يرغب الآخرون، مع الوضع في الأعتبار إدراكهم المعرفي لمفهوم الخصوبة (٣٠)

وتعتبر مصر من أعلي دول العالم الثالث في معدلات الزيادة السكانية ، ولا يمكن فهم هذا المعدل الكبير للزيادة السكانية إلا من خلال معالجة موضوع الخصوبة ، فالزيادة المفرطة في عدد السكان ترتبط بلا شك بمعدلات خصوبة عالية .

مما لاشك فيه أن زيادة معدلات المواليد والخصوبة في مصر بعامة وفي الريف بخاصة لا ينبع فحسب من موقف ثقافي عام يرتبط بتفضيل الأسرة الكبيرة العدد وتفضيل الذكور ، وإنما ينبع أيضا من عوامل بنائية تتصل بطبيعة الأسرة ومستواها الأقتصادي ودرجة التعليم وغيرها من المتغيرات (٣١).

كما أن هناك عاملين هامين يؤثران في درجة التحكم في نسبة الخصوبة وهما الدوافع وأدوار الجنس ، ولذا فأن تخفيض نسبة الخصوبة يرتبط بتوافر دافع الزوجين لهذا ، ففي مجتمع يفضل الأطفال سواء من قبل الرجال أو النساء ، وخاصة النساء اللاتي تعد الأطفال مصدر لامتلاك القوة وتعزيز لمكانتهن عند الزوج ، ولاشك أن أغلب النساء في الثقافات العربية بصفة خاصة يشتركن في الاهتمام بالخصوبة والقدرة على الإنجاب لارتباطها بهويتهن الأنثوية (٣٢)

ولاشك أن التعليم يساعد على إيجاد الوعي نحو اتجاهات تنظيم الأسرة وتنمية موقف ملائم ، ولذا فإن الاستثمارات الضخمة للقضاء على الأمية جديرة بالثقة لأنها لا ترفع فقط مستوى المعرفة بل إنها تحدث تغيرا في الاتجاه أيضا (٣٣)

كما أكدت دراسة Lee Rainwaterفي كتاب عن منع الحمل والخصوبة بعنوان الفقراء وإنجاب الأطفال ، أن تعليم الزوجة أكثر إرتباطا بحجم الأسرة ، وأنه كلما إزداد التعليم فإن متوسط حجم الأسرة يصبح أصغر وأن المتعلمات تعليم متوسط لديهن أسر تضاعف في حجمها أسر المتعلمات الجامعيات (٣٤).

ولقد أظهرت الدراسة التي قامت بها علياء شكري عن المرأة في الريف والحضر ، أن المرأة المتعلمة هي أكثر الأمهات قدرة علي التحكم في ضبط خصوبتها ، وهو أمر يرجع في جانب منه إلي التعليم نفسه ، ولكنه يرجع فى الجانب الاعظم الى طبيعة النشاط الذى يفرضة التعليم على المرأة وطبيعة الوضع المتميز الذى تحظى به داخل المجتمع المحلى خاصة المجتمع الريفى، وبالرغم من صدق هذا الافتراض التام إلا ان الدراسة قد أكدت ايضا على ان هناك بعض الظروف التى قد تعترض قدرة المرأة المتعلمة على تحقيق ما تصبو الية من انجاب عدد قليل من الاطفال . من أهم هذه الظروف تدخل الحماة والاقارب عندما تكون الزوجة خاضعة لسيطرتهم داخل وحدة معيشية واحدة (٣٥).

وتعد عملية العقم من الوسائل الأساسية لمنع الحمل لأنها تعنى إنهاء القدرة على الإنجاب للزوجين ، وقد توصلت إحدى الدراسات المسحية القومية أن ٩% من الأزواج فى سن إنجاب الأطفال انتهت خصوبتهم بهذه الطريقة ومن بينهم ٩٠% من تلك الحالات تمت على الزوجة (٣٦) . وقد يرجع إجراء عملية العقم للزوجة إلى أنه في حالة الانفصال بين الزوجين فإن الأطفال غالبا ما يضموا للزوجة ، وإن الزوج قد يرغب فى إنجاب أطفال من زوجته التالية (٣٧)

إن توافر وسائل تنظيم الحمل منذ عام ١٩٧٤ ساعد على إتاحة الفرصة للمرأة لتخطيط حياة أسرتها .

وبجانب الوسائل التكنولوجية لتنظيم الحمل هناك ممارسات شعبية لمنع الحمل أو تأجيله منها إذا أرادت الأم الحامل ألا تلد أطفالا لفترة معينة، تأتى ببذور نبات الخروع ، وعقب الولادة تأكل واحدة إذا أرادت ألا تحمل لمدة عام ، واثنتين إذا أرادت ألا تحمل لمدة عامين وهكذا ، ويعتقد أن لهذه الطريقة فاعلية شديدة ، وإذا كانت امرأة تحمل ضغينة لامرأة أخرى تتمنى ألا تنجب فإنها تدس لها بعض بذور الخروع فى طعامها مما يجعلها غير قادرة على الإنجاب (٣٨)

ومن المعتقدات السائدة في المجتمع المصري والمرتبطة بالإنجاب وتلعب دورا بارزا في الزيادة السكانية المعتقدات المرتبطة بالإنجاب كقيمة أساسية والمعتقدات المتعلقة بمكانة المرأة الولود أعلي من قيمة المرأة العقيم ، والتصورات القائمة في أذهان الريفيين عن قيمة الأولاد الذكور وتفضيلهم عن الإناث والقيم الدينية الراسخة عن الغنجاب بأن الأطفال زينة الحياة الدنيا وأنهم أحباب الله-. بالإضافة إلى الميراث الذي يعد من المسائل الرئيسية التي يعول عليها كثيرا في كثرة الإنجاب ، وارتفاع مكانة الولد الذكر الذي يرث دائما ضعف الأنثى " للذكر مثل حظ الأنثويين " ولذا تفكر وتحرص كل أسرة علي أن يكون لديها مولودا ذكرا للحفاظ علي ثروة الأسرة . ومن الجدير بالذكر أن هذه القيم وتلك التصورات تعد هي المحرك الأساسي للسلوك الإنجابي ، وتبدو مجسدة فى كثير من الأفعال والممارسات لدى الأفراد فى مختلف القطاعات المجتمعية ، وذوى المستويات الاجتماعية المتباينة . ولا نبالغ إذا قلنا أن هذه تعد من المحددات الأساسية للسلوك الإنجابي ، والتي تلعب دورا أساسيا في عملية تنظيم الأسرة ، إذ يتوقف على فهمها ودراسة مدلولاتها نجاح يلك البرامج أو فشلها (٣٩).

ومن الملاحظ بالنسبة للمبحوثات ارتفاع نسبة خصوبة الأميات عن المتعلمات حيث نجد متوسط عدد الأبناء لأغلب المبحوثات المتعلمات مابين طفلين إلي أربع أطفال وبالنسبة للأميات من أربع إلي ستة أطفال ، كما من الملاحظ إن الرغبة في إنجاب الولد قد يودي إلي تكرار الحمل والإنجاب ، وقد تكرر المرأة الحمل عدة مرات علي الرغم من إنجابها للولد حتى يكون له أخ يسانده ، ومن أهم أسباب تفضيلهم للولد إنه امتداد للعائلة ،

ويمكن الاعتماد عليه وقت الشدة ، ولمساعدة والده في الأرض .إلا أن تزايد الاتجاه نحو المساواة بين الولد والبنت خاصة فيما بين المتعلمات وهناك حالات عديدة اكتفت الزوجة ببنتين أو ثلاثة علي الأكثر ، وأهم الأسباب التي ذكرها المبحوثات لعدم تفضيل الولد أن البنت أصبحت مثل الولد في التعليم والعمل وقد تتفوق عنه أحيانا ، كما أن البنت تعاون أمها وهي سند لها الكبر والمرض ، بالإضافة إلي قناعتهم إن كل من الولد والبنت نعمة من الله يهب لمن يشاء ذكور ويهب لمن يشاء إناث .

أما بالنسبة لاتجاه المبحوثات لتنظيم الأسرة فعلي الرغم من اقتناع كل من الفئتين بفكرة تنظيم الأسرة واستخدام الوسائل المتعددة لمنع الحمل سواء الحبوب أو اللولب أو الحقن واتفاقهن علي رفض الزوج استخدام أي وسيلة لمنع الحمل من خلاله ، فهناك بعض الاختلافات بينهن من حيث عدد الأبناء التي يبدأ التفكير في استخدام وسائل تنظيم الأسرة وأسباب ذلك ، بالنسبة لفئة المتعلمات ذكرت أغلب المبحوثات بعد الطفل الثاني ، إذا كانا ولد وبنت ، وبعد ثلاثة في حالة إنجاب جنس واحد سواء ذكور أم إناث .وأهم الأسباب هي لحاجتهم للرعاية والتوجيه السليم ، وعدم توفر الوقت والجهد لتربية أكثر من اثنين أو ثلاثة وخاصة مع عمل المرأة .

أما بالنسبة لأغلب المبحوثات الأميات فأن عدد الأبناء التي تفكر بعدها في تنظيم أسرتها بعد الطفل الرابع أو الخامس ومن أسباب استخدام وسائل منع الحمل هي مرض الأم أو لحاجتهم إلي مصاريف كثيرة لا يقوى عليها الأب ، أما اللاتي رفضن فكرة تنظيم الأسرة وأغلبهن من الأميات أما لأسباب دينية وأن الأولاد نعمة من الله ، وكل مولود يجيء برزقه ، أو الاقتناع أن الأولاد عزوة وسند عند العجز والكبر .

النتائج العامة للدراسة :-

١- لقد كشفت الدراسة عن أن القرية المصرية لازالت غنية بعناصر التراث الشعبي وخاصة تلك المتعلقة بالقيم الاجتماعية والروحية ، أو التي تؤدي وظيفة في المجتمع ، وفيما يتعلق بالممارسات الشعبية المرتبطة بخصوبة المرأة ، فأن إستمراريتها يرجع إلي ارتباطها بقيم الإنجاب ، وخصوبة المرأة وارتباطها بارتفاع مكانة المرأة المنجبة في المجتمع الريفي عن المرأة العقيم ، كما أنها وسيلة لتحقق رغبة المرأة العقيم والمحيطين بها في الإنجاب .

٢- أن المادة الإثنوجرافية لمجتمع البحث غنية بالممارسات الشعبية والتي أكثر انتشارا بين النساء الأميات ويرجع ذلك بجانب قلة الوعي الصحي والمعتقدات الشعبية المرتبطة بها ، أيضا هي متاحة لهن في أي وقت بالقرية سواء عن طريق المشايخ أو القابلة أو النساء كبار السن أو حتى حالات الولادة التي يستخدم الخلاص في بعض الممارسات في أغلب الأوقات ، بالإضافة إلي ذلك رخص تكاليفها عن الذهاب إلي المستشفي أو الطبيب وقد يحتاج إلي تحاليل وأشعات تتطلب مصاريف ومبالغ لا تقدر عليها

٣- أن القيود والمحرمات التي تفرض علي العروس والسيدة حديثة الولادة قبل مرور شهر عربي يعكس الخوف من تعرض أي منهما للكبسة وهي تعني في مجتمع البحث تعرض المرأة لبعض الأشخاص أو الأشياء التي من شأنها تعوق حملها وتفقدها خصوبتها ولذا فهناك الكثير من الممارسات الشعبية التي تمارس لفك الكبسة .

٤- كما أوضحت الدراسة تزايد الاتجاه نحو اللجوء إلي الطبيب أو المستشفي لحالات العقم والإجهاض وحتى متابعة الحمل والولادة وخاصة مع نجاح العلاج الطبي لتلك الحالات . وقد ساعد علي ذلك القرب من المدينة وارتفاع نسبة التعليم في القرية بصفة عامة والمرأة بصفة خاصة ، كما ساعد انتشار وسائل الاتصال علي نشر الوعي الصحي .

٥- ولقد كشفت الدراسة عن ارتباط كثير من الممارسات بالاعتقاد النفسي في قدرتها علي منح الخصوبة ، كما أن بعض من تلك الممارسات تصيب المرأة بحالات نفسية سيئة وخاصة المتعلقة بالميت (الغسل والتحطية وفتح القبور) ، كما تؤدي البعض منها إلي الإصابة بالمرض أو الغثيان وخاصة المرتبطة بالخلاص واضطرار المرأة العقيم الجلوس علية أو أخذ قطعة صغيرة منها واستخدامها كالبوس يوضع في الرحم .وكذلك فشل الشيخ أو الشيخة في علاج كثير من الحالات ، علي الرغم مما يشاع من قدرته علي علاج حالات مشابه ، قد يكون للإيحاء النفسي دورا فيه .

٦- كما تبين أن هناك بعض الاختلافات بين المبحوثات الأميات والمتعلمات فيما يتعلق بالممارسات الشعبية والعلاج الطبي فبينما تلجأ الفئة الأولي إلي الممارسات الشعبية وبعد فشلها تلجأ إلي الطبيب ، فأن الفئة الثانية تلجأ إلي الطبيب وإذا لم يقدم لها أسباب عدم الإنجاب أو لم تجد جدوى من العلاج الطبي فقد تتجه إلي بعض الممارسات والتي تلعب الأم أو الحماة دورا هاما في إقناعها بجدواه .

٧- ولقد أوضحت الدراسة أنه علي الرغم من ارتفاع نسبة الخصوبة بين المبحوثات الأميات عنها بين المتعلمات إلا أن القرية تشهد إقبال متزايد نحو استخدم وسائل تنظيم الأسرة وإن كان الاختلاف بينهما فى الفترة التي يتخذ فيها القرار وكذلك في عدد الأطفال المناسب حيث نجد المتعلمات يفضلن تنظيم الأسرة بعد الطفل الثاني أو الثالث ، بينما أغلب الأميات يفضلن تنظيم الأسرة بعد الطفل الرابع أو الخامس وقد يلعب تفضيل إنجاب الذكور دورا في زيادة النسل نظرا لتكرار الحمل والإنجاب في حالة إنجاب المرأة للإناث ، وحتى إذا أنجبت ولد فأنها تكرر الحمل حتى لا ينشأ وحيدا .ولاشك أن عناصر التراث الشعبي المرتبطة بخصوبة المرأة وارتفاع مكانتها عن المرأة العقيم أسهم في الزيادة السكانية ، لما للمأثورات الشعبية من تأثير في الوجدان وبالتالي علي سلوكه الإنجابي .

مراجع البحث:-

1-Kay, Margarita ; Anthropology of health ; The Mosby company ; Sain Louis ; U.S.A. 1978 ;p.7 .

٢-فوزى العنتيل ؛ الفولكلور ماهو ؟ دراسات في التراث الشعبي ؛ دار المسيرة ؛ القاهرة ؛ ١٩٨٧؛ ص١٩ .

٣-صفوت كمال ؛ مناهج بحث الفولكلور العربي بين الأصالة والمعاصرة ؛ عالم الفكر المجلد السادس ؛ العدد الرابع ؛ الكويت ؛ ١٩٨٦؛ص٢٠٢.

٤-المرجع السابق ؛ ص ٢٠٣.

٥-الجهاز المركزي للتعبئة والأحصاء لمحافظة الدقهلية ١٩٨٦.

6-Mosby s Medical Encyclopedia ; Copyright © ; The Learning Company Inc. 1997. (Excerpted) .

٧-سيروى كالن ؛ عالم يفيض بسكانه ؛ عالم المعرفة ؛ العدد ٢١٣ ؛ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ؛ الكويت ؛ سبتمبر ١٩٩٦ ؛ ص١٨٥-١٨٦ .

٨-نجيب ميخائيل ؛ مصر والشرق الأدنى القديم ؛ موسسة المطبوعات الحديثة ؛ القاهرة ؛ ١٩٥٩؛ ص٣٤٦

٩-يوليوس جيار ولويس ريتر ؛ الطب والتحنيط في عهد الفراعنة ؛ تعريب انطوان ذكري؛ المتحف المصري ؛ القاهرة ؛ لا توجد سنة للنشر ؛ ص٤٩.

١٠-نجيب ميخائيل ؛ مرجع سابق ؛ ص٣٤١.

١١-أحمد إسماعيل النعيمي ؛ الآلهة الإناث في الموروث الأسطوري والشعري قبل الإسلام؛ مجلة الفنون الجميلة ؛ العدد التاسع عشر ؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب ؛ القاهرة ؛ ١٩٨٧؛ ص٨.

١٢-وينفريد بلاكمن ؛ الناس في صعيد مصر (العادات والتقاليد)؛ ترجمة أحمد محمود ؛ عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ؛ القاهرة ؛١٩٩٥؛ص٧٨ .

13-Alexander , Alland ; Adaptation in Cultural Evolution ; Columbia University press ; N.Y. 1970 ;p.154 .

14- Mosby s Medical Encyclopedia ; Op. Cit

١٥-جيلبير دوران ؛ الأنثروبولوجيا (رموزها وأساطيرها) ؛ ترجمة مصباح العمير ؛ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ؛ بيروت ؛ ١٩٩١؛ص ٨٣ .

١٦-محمد عبده محجوب ؛ أنثروبولوجيا الزواج والأسرة والقرابة ؛ دار المعرفة الجامعية ؛ الإسكندرية ؛ ١٩٨٥؛ ص١٦٤ .

١٧-محمد الجوهري وآخرون ؛ دراسات في علم الفولكلور ؛ دار المعرفة الجامعية ؛ الإسكندرية ؛ ١٩٩٢ ؛ ص ٢٣٤ .

18-Kaur, Surjit ; Family Planning in two Industrial units ; Sterling Publisher Pvt. , Ltd. India . 1978 ; p . 14 .

١٩-فوزية دياب ؛ القيم والعادات الاجتماعية ؛دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ؛ القاهرة ؛ ١٩٦٦؛ ص ٢٤٥ .

٢٠-محمد عبده محجوب ؛ أنثروبولوجيا الزواج والأسرة والقرابة ؛ ص ١٧٢ .

21-Dodge , John & Kasch , Haward ; "Marriage" in Encyclopedia Britannia ; Vol . 14 ; William Benton Publisher ; London ; 1964 ; p.946 .

٢٢-يوليوس جيار ولويس ريتر ؛ الطب والتحنيط في عهد الفراعنة ؛ مرجع سابق ؛ ص٤٨ .

٢٣-علماء الحملة الفرنسية ؛ وصف مصر (المصريون المحدثون) ؛ ترجمة زهير الشايب ؛ مكتبة مد بولي ؛ ألقاهرة ؛ ١٩٨٩؛ ص ٥٧.

٢٤-أحمد رشدي ؛ الأدب الشعبي ؛ الطبعة الثالثة ؛ مكتبة النهضة المصرية ؛ القاهرة ؛ ١٩٧١ ؛ ص٢٤٦-٢٤٧ .

٢٥-وينفريد بلاكمن ؛ الناس في صعيد مصر (العادات والتقاليد)؛ مرجع سابق ؛ ص٨١.

26- Kassler, Evelyn ; Women :-An Anthropological View ; Holt Rinehart and Winston ; U. S. A . ;1979; p.73 .

27-Mosby s Medical Encyclopedia ; Op . cit. .

٢٨-محمد الجوهري ؛ دراسة المعتقدات الشعبية (الجزء الثاني) ؛ دار المعـــارف بمصـــر ؛ ١٩٨٠ ؛ ص ٥٦٣-٥٦٤ .

29-Bois, Cora ; Human fertility ; and population problems ; Schenkman Publishing Company , Inc . U.S.A. 1993 ; p.258.
30- Kay , Margarita; op. Cit

٣١- علياء شكري ؛ المرأة فى الريف والحضر؛ دار المعرفة الجامعية ؛ الإسكندرية ؛ ١٩٨٨؛ ص ٢٧٥.

32-Sticher, Sharon & Parpart , Jane ; Women Employment and the Family in International Division of Labor ; Macmillan press Ltd. London ; 1990 ; p.189 .
33-Nye,Ivan & Berado, Felix; The Family ; Macmillan Publishing Comp. Inc.; N.Y. p.356 .
Balakrishna ; p.125
34-Raianwater , Lee ; Poor get children ; Quadrangle Books; Chicago ; U.S.A. ; 1960 ; p.358 .
35-Freedman , Ronald ; p.26 .
36-Nye Ivan ; Op. Cit. .p.356

٣٧-وينفريد بلاكمن ؛ مرجع سابق ؛ص ٨٥ .

38-Bobhine , Jack Nobles & Flemming , Margaret ; Sociology ; Macmillan press ; London ; 1983 ; p.71.

٣٩-محمد الجوهري وآخرون ؛ دراسات في الفولكلور ؛ مرجع سابق ؛ ص٢٣٢.

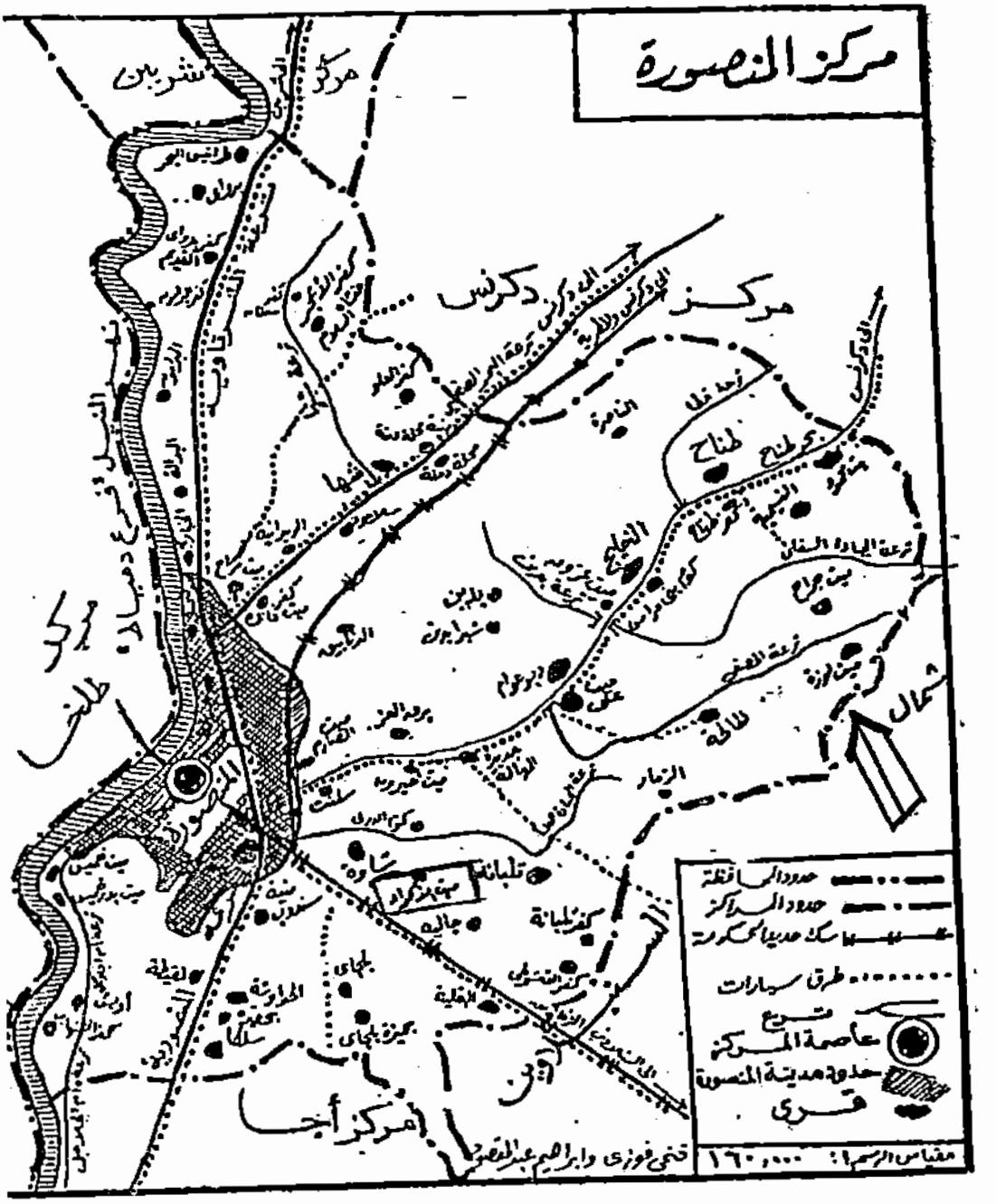
مركز المنصورة
مركز
المنشية
دكرنس
مركز
لمناح
النخيلة
الزعار
شمال
مركز أجا
حدود المحافظة
حدود المراكز
طرق سيارات
عاصمة المركز
حدود مدينة المنصورة
قرى
مقياس الرسم ١ : ١٦٠,٠٠٠
فنى فوزى وابراهيم عبد المقصود